فلسفة الجمال :

ما الجمال ؟ وما الذي يجعلنا نبحث عنه .

يقع بصرنا على البحر الخضم المترامي الابعاد ، وعلى الجبال المرتفعة ، والاودية العميقة او السهول الفسيحة او الاشجار الخضراء او الازهار المتنوعة الالوان والاشكال او الحيوانات العجيبة التركيب والى اَخر ما هنالك من المخلوقات ، فنقول ما اجمل هذه الكائنات . ونسمع من حولنا اغاريد العصافير وخرير المياه وحفيف الاوراق ...الخ فنقول ما اجمل هذه الاصوات . ونقرأ قصة أو مقال أو خطابا أو قصيدة ، ونشاهد لوحة بديعة أو قصراً فخما فنعجب ونقول ما أروع ما نشاهد ونسمع ونقرأ. فالجمال هو قيمة في الشيء تبعث في النفس الاحساس بالمتعة والرضا وسعادة.

فنلاحظ قدماء الفلاسفة وعلى رأسهم ارسطو قد عنوا بالإنسان في نشاطه العقلي الذي يهدف الى معرفة حقائق الاشياء ، وعنوا ايضاً بالإنسان في سلوكه ، ليعرفوا الخير والشر ، ويحددوا المقصود بالسلوك الاخلاقي .

اما فلاسفة العصر الحديث فقد اضافوا الى هذه الدراسات دراسة ثالثة تتناول الإنسان بوصفة صانعاً ومبدعاً، وبما أنه صانع ومبدع فهو يتوخى أن يضمن ما يصنعه المال والجمال ، ومن هنا فقد نشأ ذلك العلم الفلسفي الجديد المعروف بعلم الجمال .

يقول الفلاسفة : ان الانسان منذ نشأته لم يعن بصناعة الآلات التي يتغلب بها على ما يعترض حياته من عوائق ويوفر بها حاجاته الأساسية فحسب بل عني أيضاً بأن يبدع رموزاً يتخاطب بها وغيره من أفراد مجتمعه ، ومن هذه الرموز اللغة والاساطير والفنون ، وبهذه المخترعات استطاع ان يذلل الحياة ، وأن يجملها ويسعد بها ، وكذلك استطاع أن الى بناء الحضارة.
فنستطيع القول ان الإنسان بالصناعة وبالفنون الجميلة بنى الإنسان حضارته، وأضفى الجمال والسعادة على حياته .

وعلم الجمال الذي يتناول الإنسان في نشاطه المبدع لهذه الصور الجميلة يعد من أصغر أبناء الفلسفة ، لأنه لم يستقل عن نظريات المعرفة والخير الا في العصر الحديث وعلى وجه الدقة في القرن الثامن عشر عندما اطلق الفلاسفة الالمان والاوربيون كلمة استطيقا على ذلك الفرع من فروع الفلسفة الذي يعني بشعور الإنسان بالجمال وتذوقه وابداعه له في الفنون المختلفة إنه دراسة لمنطق الخيال في مقابل دراسة المنطق العقلي في العلوم .

وليس معنى ذلك ان قدماء الفلاسفة لم يعنوا بتفسير شعور الانسان بالجمال وإبداعه له في الفنون ، وإنما نعني أن نقول : ان هذه الدراسة لم تستقل عن نظرياتهم في المعرفة والاخلاق الافي العصر الحديث ابتداء من القرن الثامن عشر حين تبين أكثر المفكرين والفلاسفة ان للقيم الجمالية طبيعة خاصة بها .وأن الفن ظاهرة قائمة بذاتها لا ينبغي أن يخضع لظواهر أخرى مختلفة عنه .

وللجمال أنواع مختلفة من أهمها ما نراه في الطبيعة من جمال الألوان والاصوات والاشكال التي يشغف بها صاحب الحس المرهف من الناس : فكم تغنى الشعراء بجمال السماء وكواكبها وجمال البحار ، وكذلك بجما المحبوب في كل احواله ، ومن هنا فقد اصبح التعبير الجميل عن الموجودات الطبيعية من أهم مصادر الفنون الجميلة .

وقد يحدث أن يرى الفنان فيما لا يراه غيره من الناس ما يثير خياله فيحقق بتعبيره جمالاً فنياً: فقد تكون (لوحة) تصور وجهاً بأساً أو تصور دمار الحروب قد تتحول الى تحفة رائعة حين تكون قد تضمنت من الجمال الفني مالا يتضمنه الواقع الخارجي على سبيل المثال لوحة لحذاء بالي صورها الفنان الهولندي فان جوخ .

وكذلك نرى أن الفن يخلق موجودات أشد جمالاً وتأثير في النفوس من موجودات العالم الواقعي : فشخصية " أنا كرنينا " مثلاً في رواية تولستوي تتحول الى حقيقة أشد وضوحاً من آلاف النساء المحبات اللاتي نراهن في الواقع .

ومن هنا يرينا الفن الاشياء والحياة والانسان أوضح وأشد تأثيراً مما نراها في الواقع المحيط بنا . والطبيعة في ذاتها شأنها شأن أي موضوع اَخر ليست جميلة ولا قبيحة في ذاتها ولكنها تتحول بالتعبير الفني الى شيء جميل يتذوقه الانسان في (لوحة)او في لحن موسيقي او في قصيدة من الشعر .